

الجامعة الجزائرية بين الاندماج و الانعزال مع محيطها الاجتماعي- الاقتصادي.

أ.فاروق بلخيري، أستاذ مؤقت، باحث في الدكتوراه،

جامعة الجزائر 03

مقدمة

وفعال يعمل على الارتقاء بالدولة والأفراد، لقد كانت الجامعة قديما تؤدي مهامها التقليدية كلاسكية ترتبط بالتعليم و التلقين، أما مع التطورات التي يشهدها العالم فإن هذه الأدوار تطورت و تجاوزت حدود التلقين، إلى مستوى مغاير تؤدي فيه الجامعة مهمة تكوينية بحثية تقنية إستشرافية تعمل من خلالها على مساندة المجتمع اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وثقافيا، وذلك عن طريق تقديم مخرجات ذات نوعية وكيفية عالية.

وبالتالي فإن هذه الدراسة تكتسب أهميتها من خلال تحليل الجوانب الإيجابية والسلبية التي تمر بها الجامعة الجزائرية وذلك من خلال معرفة مدى جدية مختلف التعديلات الساعية إلى إدماج الجامعة بمحيطها وأيضاً فعالية جهود الإدارة الجامعية نحو بناء علاقات تنموية مع مؤسسات اقتصادية اجتماعية بهدف الارتقاء بالدور الجامعي من جهة وإحداث تنمية محلية ووطنية حقيقية من جهة أخرى، فكيف يمكننا أن نصف العلاقة بين الجامعة ومحيطها الاجتماعي والاقتصادي؟ وهل يمكن القول أن الجامعة الجزائرية نجحت في تحقيقي اندماج نوعي مع محيطها؟ أم أنها مازالت تنشط في عزلة داخلية بعيدة عن الأنساق الخارجية؟.

المحور الأول: الجامعة الجزائرية نحو

الاندماج مع محيطها الاجتماعي-

الاقتصادي

يشهد العالم تطوراً متسارعاً في مختلف المجالات خاصة التكنولوجيا والتقنية، ومع امتدادات العولمة تقلصت المسافات وزادت التعقيدات في رسم العلاقات وبناء المجتمعات لمواكبة تلك التغيرات، حيث أصبحت التحديات العالمية الشغل الشاغل لمختلف الشرائح الاجتماعية في المنظومة الدولية، وكان لدور التعليم والتعلم أهمية بالغة خاصة مع تطور دور الجامعة وسيرها نحو بناء محيط اجتماعي واقتصادي متين وهذا ما يستدعي إلقاء الضوء على دور الجامعة الجزائرية والذي شهد نقاشاً سياسياً واجتماعياً بين مختلف الباحثين خاصة في إطار هذه التطورات التي يشهدها العالم، لقد ارتبط هذا النقاش بالجهود الجزائرية الساعية إلى تحديث منظومة التعليم العالي عبر تعديلات وقوانين جديدة كفيلة بدمج الجامعة مع محيطها وتفعيل الوظيفة الثالثة لها والتي تتمحور حول مخرجات الجامعة التي تساند المجتمع من نقل للابتكارات والتقنيات وإجراء البحوث و تقديم الاستشارات، وتخريج القيادات الفاعلة والقادرة على إدارة شؤون الدولة والأفراد، حيث يرى العديد من الباحثين أن الواقع الجامعي الجزائري لا يضمن هذه الجهود على أساس أن دور الجامعة ما يزال حبيس المحيط الداخلي لتبقى دائما هذه الجهود محل التساؤل بين جموع الباحثين، وتبقى الجامعة محل نقاش حول مدى اندماجها بالمجتمع الجزائري.

لقد حاولت الجزائر من خلال تحديث منظومة التعليم العالي و إصلاحه الارتقاء بالمستوى الجامعي و بناء علاقة متينة مع محيطها الاجتماعي-الاقتصادي.

أولاً: إصلاح منظومة التعليم العالي

أصبحت عملية تقوم منظومة التعليم العالي ضرورة ملحة لا تتجزأ من العملية التعليمية ، كما أصبح شرطاً أساسياً تشترطه جميع هيئات الاعتماد الأكاديمية العالمية¹ بل وان هذا التقويم يتجدد ويعطي دوراً أكثر أهمية، ولهذا فإن نسبة مؤسسات التعليم العالي في الولايات المتحدة الأمريكية على سبيل المثال التي تطبق أساليب متنوعة التقويم تعتمد على خطط شاملة تستهدف جودة التعليم الجامعي².

لهذا حاولت الجزائر وضع خطة لترشيد و زيادة فعالية الجامعة ودورها في المجتمع عن طريق وضع عدة قواعد وإصلاحات للعديد من القوانين التي تنظم هذه المؤسسة، حيث تعتبر الجامعة الجزائرية امتداد للجامعة الفرنسية والتي تأسست سنة 1909 ولكنها لم تحظى بالاهتمام الكافي حتى عام 1920 مع " ظهور الحركة الوطنية العصرية من طرف المثقفين الجدد كالصحافيين، القضاة، الأطباء، بدأ الاهتمام بالتعليم بحيث يرويه كوسيلة للتحرر " ³.

1 نعمان شحادة، نحو إستراتيجية جامعية عربية جديدة، المؤتمر العلمي " دور الجامعات العربية في تعزيز الهوية العربية " جامعة قطر، 4-6 أكتوبر 2003، ص. 115.

² المرجع نفسه ، ص. 116.

³ أيمن يوسف ، تطور التعليم العالي: الإصلاح والآفاق السياسية، مذكرة ماجستير، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة بن يوسف خدة، الجزائر، 2007، 2008، ص. 44، 45.

بعد الاستقلال أصبحت الضرورة ملحة إلى إجراء تعديلات على الجامعة من أجل تكييفها والمتطلبات المستجدة في المجتمع فكانت أول التحولات في 1971 حيث مست هذه الإصلاحات عدة جوانب أهمها فتح المجال أمام شرائح المجتمع للالتحاق بالجامعة، وهو ما حدث فعلاً حيث شهدت هذه المؤسسة إقبالا كبيرا من طرف الأفراد، إلى جانب ذلك توسيع الخارطة الجامعية في معظم ولايات الوطن بما في ذلك المعاهد والمدارس العليا ومحاولة تخريج إطارات وأساتذة جامعيين من أجل استخلاف الأجانب في الجامعة⁴. لقد شكلت هذه الفترة نقطة تحول هامة في تنظيم التكوين والتعليم بالجامعة وجعله أكثر مرونة ليتم لتحقيق أهداف المجتمع، وتنمية القطاعات المنتجة، وقد لخص أحد الباحثين هذه العلاقة فيما يلي⁵:

- ربط الجامعة بالقطاع الإنتاجي بتكوين إطارات بكمية ونوعية تلبي احتياجات التنمية في البلاد.
- إعادة النظر في البرامج وجعلها تتماشى مع التحولات العميقة التي شهدتها المجتمع بنيانه الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، حتى تكون منسجمة مع معطيات الواقع المعاش.
- جعل التعليم العالي والبحث العلمي مهتماً بالحقائق الوطنية بمعالجة مشكلات الحياة المختلفة.

⁴ المرجع نفسه ص. 45-47.

⁵ مراد بن أشنهو، نحو الجامعة الجزائرية تأملات حول مخطط جامعي، عابدة بامية، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1981، ص. 3-7.

- ظهور حصص التدريب الميداني التي كان الهدف منها المساهمة في بناء علاقات وطيدة بين الجامعة والمحيط المهني.

كما شهدت فترة التسعينيات محاولات عديدة من أجل ربط الجامعة الجزائرية مع محيطها من خلال إدخال إصلاحات جديدة، ففي 1982 تم عقد ندوة وطنية لرؤساء الجامعات من أجل إعادة النظر في سياسة التكوين وهيكلية التعليم العالي بحيث ينبغي أن يكون في تطابق دائم مع المتطلبات الاقتصادية والاجتماعية للبلاد، وخرجت الندوة بالتوصيات التالية:¹

- وضع برامج اختيارية وفقا لاحتياجات سوق العمل.
- منح التدريبات العملية اهتماما خاصا والخروج إلى الميدان.
- وضع طريقة جديدة للتوجيه الجامعي وأثناء مرحلة التكوين.

نظرا للتطورات التي شهدتها الساحة الدولية أدخلت الجزائر إصلاحات جديدة على قطاع التعليم العالي والذي تمثل في نظام (ل.م.د.) وذلك في محاولة لدمج المؤسسة الجامعية مع محيطها الاجتماعي والاقتصادي، خاصة مع دخول العالم إلى مرحلة المعلومة، فمن يمتلكها يصنف ضمن المجتمعات الغنية، لذلك حاولت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي تطوير القطاع في فترة 2004-2013 مع إدخال نظام جديد (ليسانس، ماستر، دكتوراه) " مع هيكلية

تستجيب للمعايير الدولية وتكون مصحوبة بتأهيل مختلف البرامج التعليمية، مع تنظيم جديد للتسيير البيداغوجي "².

ثانيا : الاتفاقيات الاقتصادية بين الجامعة ومحيطها

حاولت الجامعة الجزائرية عقد العديد من الاتفاقيات بين عدة مؤسسات اقتصادية، وكان الهدف من ذلك تحقيق تنمية محلية والتطوير لمختلف الأساليب المعتمدة إلى جانب ذلك ربط مباشر لمخرجات الجامعة بتلك المؤسسات الاقتصادية في علاقة متبادلة.

هناك عدة أشكال للعلاقة التي يمكن أن تجمع بين الجامعة والمؤسسات الاقتصادية، أهمها تلك الاستشارات التي تقوم بها الجامعة، فالمؤسسات الاقتصادية تقوم بإبرام عقود استشارات مع الجامعة في مجالات بحثية محددة مقابل أجور متفق عليها بين مراكز الاستشارة في الجامعة والشركات الصناعية، إلى جانب الزيارات المتبادلة بين الشركات والجامعات لإقامة دورات مشتركة، وتبادل الخبراء والموظفين، والتطبيق العملي في الشركات، بالإضافة إلى إشراك هذه الأخيرة في المؤتمرات والملتقيات الجامعية. كما أن هناك مجموعة من الاتفاقيات هدفها نقل المعرفة الاقتصادية بين منظمات الأعمال والجامعة وإجراء عقود شراكة في مشاريع وأبحاث تطبيقية مشتركة بين الطرفين³.

² أيمن يوسف، مرجع سابق، ص. 48-55.

³ يوسف سيد محمود عيد، أبعاد ومشكلات الشراكة بين الجامعة وبعض المؤسسات الإنتاجية والخدمية، المؤتمر العلمي الرابع " التربية ومستقبل التنمية البشرية في الوطن العربي،

¹ لحسن بوعبد الله ومقعداد محمد، تقييم العملية التكوينية بالجامعة؛ دراسة بجامعات الشرق الجزائري، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعي، 1998 ص. 5.

عند الحديث عن أشكال العلاقة بين المؤسسات الاقتصادية والجامعة لابد من استحضار بعض النماذج الغربية التي حققت النجاح في ذلك نذكر منها التالي:

I. بعض النماذج الغربية للعلاقة الجامعية بمحيطها السوسيو-اقتصادي

هناك العديد من الجامعات العالمية التي تتخذ كنموذج يمكن الاقتداء به أثناء تحسين العلاقة بين الجامعة الجزائرية ومحيطها، ويمكن مقارنة دور الجامعة بتلك الأدوار التي تقوم بها الجامعات الغربية فعلى غرار الجامعات الأمريكية والبريطانية واليابانية التي حققت نجاحا كبيرا في اندماجها مع محيطها خاصة ما تمثل في مراكز التعاون ونقل المعارف وغيرها، يمكننا إيراد بعض النماذج الأخرى القريبة من الدولة الجزائرية، بل وتعتبر من الدول النامية التي حققت علاقة ناجحة مع محيطها الاجتماعي والاقتصادي وأهمها:

أ- الجامعات الماليزية

ومن أهم الجامعات التي حققت نجاح كبير سواء على المستوى الوطني أو المستوى العالمي الجامعات بماليزيا خاصة الجامعة الإسلامية العالمية التي تأسست عام 1983 بحيث تعتبر من أشهر الجامعات في الوسط الوظيفي بماليزيا والتي تربطها علاقة وطيدة بالعديد من المؤسسات والهيئات والشركات والمنظمات العاملة في ماليزيا على غرار علاقتها بالهيئات العالمية المختلفة كاتحاد جامعات

" كلية التربية بالفيوم، مصر، 21-22 أكتوبر 2002، ص. 13-14.

الكومونولث واتحاد جامعات العالم الإسلامي¹، وتعتبر ماليزيا الآن قبلة للعديد من الطلبة الجزائريين لتطورها و علاقتها الكبيرة مع محيطها الاجتماعي والاقتصادي الذي يعطي فرص جيدة للطلبة بالاندماج مع المحيط ، إضافة إلى ذلك فإن قوة المكونات الداخلية للجامعة ينبع من تركيزها على جودة هذه المكونات أي النوع و ليس الكم ، وبالتالي تعتبر الجامعة الماليزية من أهم الأمثلة قوة في علاقتها مع محيطها.

ب- مؤسسات التعليم العالي في سنغافورة

كانت المراحل التعليمية في سنغافورة خاصة التعليم العالي متخلفة بدرجة كبيرة، إلا أن هذا التخلّف تحول إلى نجاح عالمي بعد الإصلاحات التي أدخلتها الحكومة على التعليم العالي و التي كانت بدايته مع " النموذج المركز على القدرة "، حيث أصبحت الآن الجامعات في سنغافورة تحتل مراتب عالمية بسبب الطابع التنافسي في التعليم، وارتباطه بالمحيط الاقتصادي خاصة في الجوانب التقنية والصناعية التي يركز عليها الاقتصاد الماليزي حيث قامت ماليزيا بإنشاء تخصصات تقنية مختلفة في هذا الميدان و الذي كان سببا في تحقيق التطور والتقدم الذي تشهده الآن، إلى جانب محاولة الربط بين الجامعة و مختلف المجالات الاجتماعية

¹ سعيد محمد بوهراوة، تأهيل القضاة الشرعيين في ماليزيا الواقع و الآفاق أنموذج الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، بحث مقدم لمؤتمر القضاء الشرعي في العصر الحاضر الواقع، والآمال، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة 10-13 أبريل 2006، ص.8-9.

شركات اقتصادية أخرى أبرزها: الشركة العمومية الجزائرية لاستغلال الموارد البترولية (سوناطراك)، الشركة الوطنية للغاز والكهرباء (سونلغاز)، الشركة الوطنية لنقل وتوزيع كل أنواع الوقود (نفطال)، واتصالات الجزائر، والشركة العمومية الجزائرية للمواد الصيدلانية (صيدال).²

ومن بين الاتفاقيات أيضا والتي تعتبر الأولى من نوعها تلك المتعلقة بالسمعي البصري، أي اعتماد التلفزيون كمنصة لمناقشة قضايا المجتمع وتوعيته بما يخدم الصالح العام و يحقق التنمية، وهذا ما عرفته جامعة البليدة -2- بالجزائر عند توقيعها اتفاقية مع المؤسسة العمومية للتلفزيون - قناة القرآن الكريم - لاستغلال برنامج تلفزيوني يسمى " مدرج المعرفة " والذي يفتح المجال لمناقشة القضايا العلمية والفكرية عن طريق الاستفادة من الخبرات العلمية التي تحظى بها الجامعة من أساتذة ومختصين.³

وإلى جانب ما حققته جامعة الحاج لخضر - باتنة بالجزائر من نجاح في عقد اتفاقيات مختلفة مع محيطها الاقتصادي والاجتماعي والذي ارتفع إلى 15 اتفاقية منذ 2008، وذلك سعيا لتطوير الابتكار التكنولوجي والعلمي وأيضاً النجاح الذي حققته دار

لتجاوز الفقر ومساعدة العائلات المحتاجة وتخرج قيادات ناجحة ذات كفاءة عالية¹.

II. الجامعة الجزائرية و تجربة الاتفاقيات الاقتصادية

تهدف الشراكة بين الجامعة والمؤسسات الاقتصادية إلى تحقيق تنمية مستدامة عن طريق الاستثمار في العنصر البشري وتحقيق التبادل والتعاون بين الجامعة ومختلف المؤسسات الاقتصادية فالتحول من أمة مستهلكة إلى أمة منتجة يكمن في استغلال القدرات البشرية وكل أشكال العلاقة بين الجامعة ومحيطها، وهذا الهدف الذي سعت إلى تحقيقه الجامعة الجزائرية كان بدايته عن طريق عقد الاتفاقيات مع مختلف منظمات الأعمال و المتعاملين الاقتصاديين، وفي هذا المقام سنحاول إلقاء الضوء على مجموعة من الاتفاقيات لمحاولة الوقوف على أهميتها و دورها في دفع عجلة التنمية.

على مستوى جامعة الجزائر، وقعت جامعة هواري بومدين للعلوم والتكنولوجيا اتفاقية مع شركة متخصصة في مواد البناء (مجموعة لافراج الجزائر) بهدف توفير مجموعة من المواد المصنوعة محليا للطلبة المتخصصين في هندسة المواد والهندسة المدنية من أجل إجراء البحوث، أيضا تم فتح المجال أمام الطلبة لإجراء دورات تدريبية وتربصات من أجل التكوين بالمؤسسة ومختلف مواقع التصنيع للرفع من خبرة الطالب وكفاءته، ليمتد الأمر إلى توقيع اتفاقيات مع عدة

² جريدة النهار، التوقيع على أربع اتفاقيات بين جامعة هواري بومدين ومؤسسات وطنية، (2016/12/02)، http://www.ennahronline.com/ar/algeria_news/206778

³ جامعة البليدة -2-، اتفاقية تعاون بين جامعة البليدة 2 و المؤسسة العمومية للتلفزيون الجزائري - قناة القرآن الكريم (2016/12/02)، <http://www.univ-blida2.dz/blog/2016/02/18/universite-blida-2-convention-avec-tv-coran/>

¹ عاطف قبوري، بعض ملامح التجربة التعليمية في سـ:غافورة، (2017/05/01): <http://ktateeb.org/?p=1256>

الريعي واستبداله باقتصاد المعرفة لتحقيق التطور التقني والعلمي وإحداث نقلة نوعية نحو التنمية المستدامة.

المحور الثاني

عزلة الجامعة الجزائرية عن محيطها

الاجتماعي و الاقتصادي

لاحظنا في ما سبق الجهود التي بذلتها الدولة الجزائرية والجامعة من أجل تحقيق ذلك الارتباط بالمحيط وتفعيل العلاقة الناجحة مع المؤسسات الاقتصادية والهدف من ذلك هو تحقيق التنمية خاصة وأن التطورات العالمية ترتبط باقتصاد المعرفة، وفي خضم هذا السعي نطرح التساؤل حول مدى فاعلية وجدية تلك الاجراءات والجهود؟، والإجابة على هذا التساؤل تتعلق بالمكونات الداخلية للجامعة لدورها الأساسي في علاقة الجامعة بمحيطها، وهو ما دفع بهذه الدراسة إلى التركيز على جودة المكونات الداخلية وكيفية تأثيرها في عملية الارتباط بين الجامعة و المحيط.

أولاً: معايير الجودة لمكونات الجامعة الداخلية

تبين لنا جهود الإصلاح المبذولة والساعية إلى تطوير المؤسسة الجامعية أنها عبارة عن إصلاحات شكلية لا ترتقي إلى المستوى المطلوب من الفاعلية والتغيير " فالجامعة ليست مطالبة بتقديم خدمات بعينها أي ليست مطالبة بأن تعطي الدولة والمجتمع الإطار الجامعي فقط، بل إن دور الجامعة الأهم هو تقديم الآليات والمحيط الملائم والمعطيات الصحيحة، حتى يتمكن قادة المجتمع والدولة من بناء قراراتهم الإستراتيجية على أرضية صحيحة، أي أن الجامعة هي (دبابة الفكر) وليست مؤسسة تكوين فقط،

المقاولاتية على مستوى جامعات الجزائر كجامعة باتنة، قسنطينة، بومرداس، وذلك في إطار الشراكة والتعاون بين الجامعة و محيطها¹.

فإن جامعة باجي مختار، عنابة بالجزائر حققت تقدماً ملحوظاً في هذا السياق حيث وقعت على اتفاقيات مع مؤسسات اقتصادية مثل الوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب (أونساج)، وغرفة التجارة والصناعة، وكان الهدف من ذلك تشجيع الاستثمار وتحسين سوق العمل، التقليل من البطالة عن طريق توظيف خريجي الجامعة، إلى جانب تمويل مشاريع اقتصادية متعددة².

التعاون الجامعي مع محيطه في الجزائر شهد تطوراً بداية من عام 2006، حيث أبرمت عدة جامعات على مستوى الوطن اتفاقيات مع شركات ومؤسسات اقتصادية مختلفة المجالات، وهو ما يعكس مدى الاهتمام بتقوية الروابط بين الجامعة ومحيطها وبداية النهاية للعزلة التي تشهدها الجامعة الجزائرية، إلى جانب ذلك فهذه التطورات قد تعتبر مؤشر على انطلاق الوظيفة الثالثة للجامعة وسيرها نحو الاندماج مع محيطها، وهو ما يساهم بدرجة أو بأخرى في تحقيق متطلبات التنمية المحلية والوطنية، وتجاوز عائق الاقتصاد

¹ البوابة الجزائرية للطاقة المتجددة، التقارب المتبادل بين الجامعة والمتعاملين الاقتصاديين ضرورة حتمية لتفعيل شراكة حقيقية، (2016/12/02)،

<http://portail.cder.dz/ar/spip.php?article324>

² جريدة الفجر، إمضاء 10 اتفاقيات تعاون بين جامعة باجي مختار ومؤسسات اقتصادية، (2016/12/02)

<http://www.al-fadjr.com/ar/est-info/334183.html>

الرقمي بالطاقات البشرية⁴، ويمكن تلخيص معايير جودة الأستاذ الجامعي في المخطط التالي:

فالجامعات ليس مؤسسات حكومية تؤدي فعلا بيروقراطيا تعليميا ينتهي بتخريج الطلبة وتوظيف الأساتذة فقط ومن ثم الدوران في تلك الحلقة التي جنت على الدولة والمجتمع وهو ما أدى إلى انحصار دور الجامعة الحضاري¹. تحسين مخرجات الجامعة ينطلق من جودة الجامعة ومكوناتها الداخلية أي جودة الأساتذة والطلبة والمناهج والمصادر التعليمية والإدارة وغيرها²، وهو ما يؤثر على مخرجات الجامعة الجزائرية نحو محيطها. لذلك سنحاول من خلال هذا المحور إلقاء الضوء على معايير الجودة من جهة ثم مقارنتها بالواقع الجامعي الجزائري من جهة أخرى.

أ- جودة الأساتذة الجامعيين

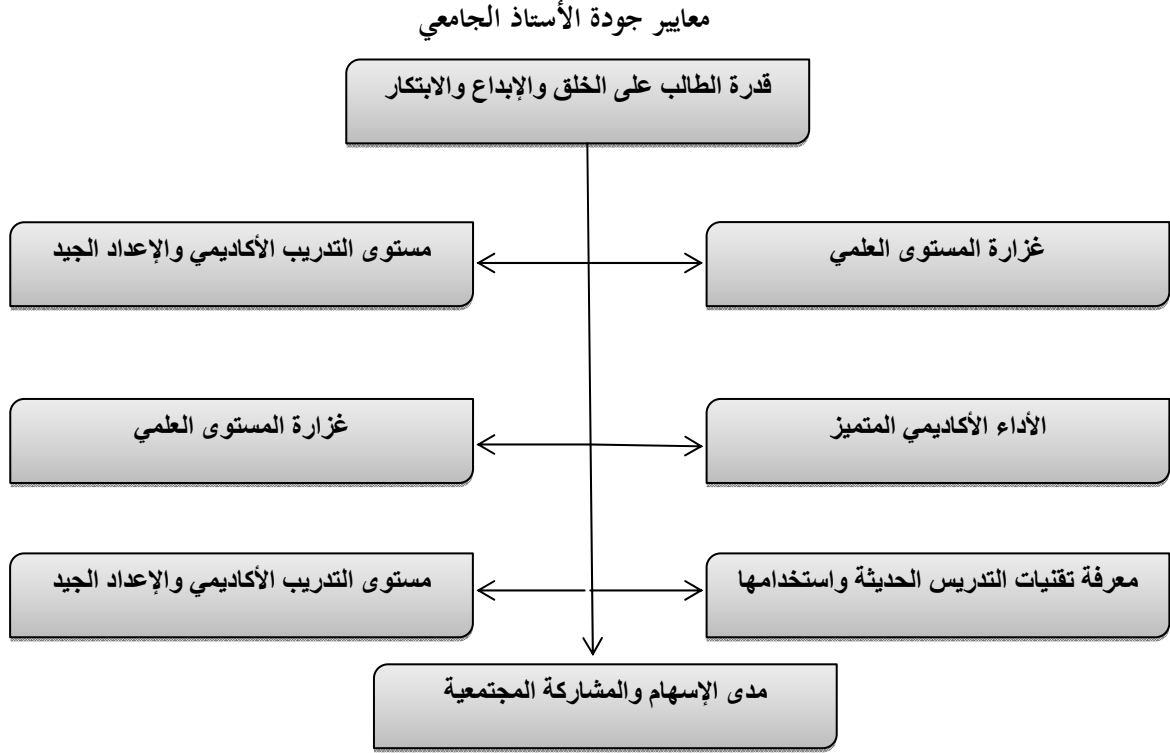
يعتبر الأستاذ الجامعي أساس العملية التعليمية في الجامعة، فهو الذي يساهم في الارتقاء بتلك العملية وبالتالي تحسين مستوى مخرجات الجامعة³، وعند الحديث عن جودة الأستاذ الجامعي فالمقصود هنا هو المستوى العلمي والمكانة العلمية إلى جانب قدراته على تحقيق أهداف الكلية التي ينتمي إليها الأستاذ، وهذا على أساس الأدوار التي يقوم بها من رفع لمستوى الطالب وإجراء البحوث وتقديم الاستشارات للمجتمع من أجل

¹ عبد القادر سعيد عبيكشي + فرقاني فتيحة، إسهام الجامعة الجزائرية في التنمية : قرار سياسي أم حاجة اقتصادية؟، الملتقى الوطني الأول حول تقويم دور الجامعة الجزائرية في الاستجابة لمتطلبات سوق الشغل ومواكبة تطلعات التنمية المحلية، جامعة الجلفة، 2010/05/20، ص. 30.

² Andrea Luxton, *Quality Management In Higher Education*, General Conference Department of Education, 2005, p. 19-26.

³ عماد أبو الرب وآخرون، ضمان الجودة في مؤسسات التعليم العالي بحوث و دراسات، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2010، ص. 219.

⁴ رافدة عمر الحريري، القيادة وإدارة الجودة في التعليم العالي، الطبعة الأولى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 2010، ص. 230.



المصدر: رافدة عمر الحريري، مرجع سابق، ص 236.

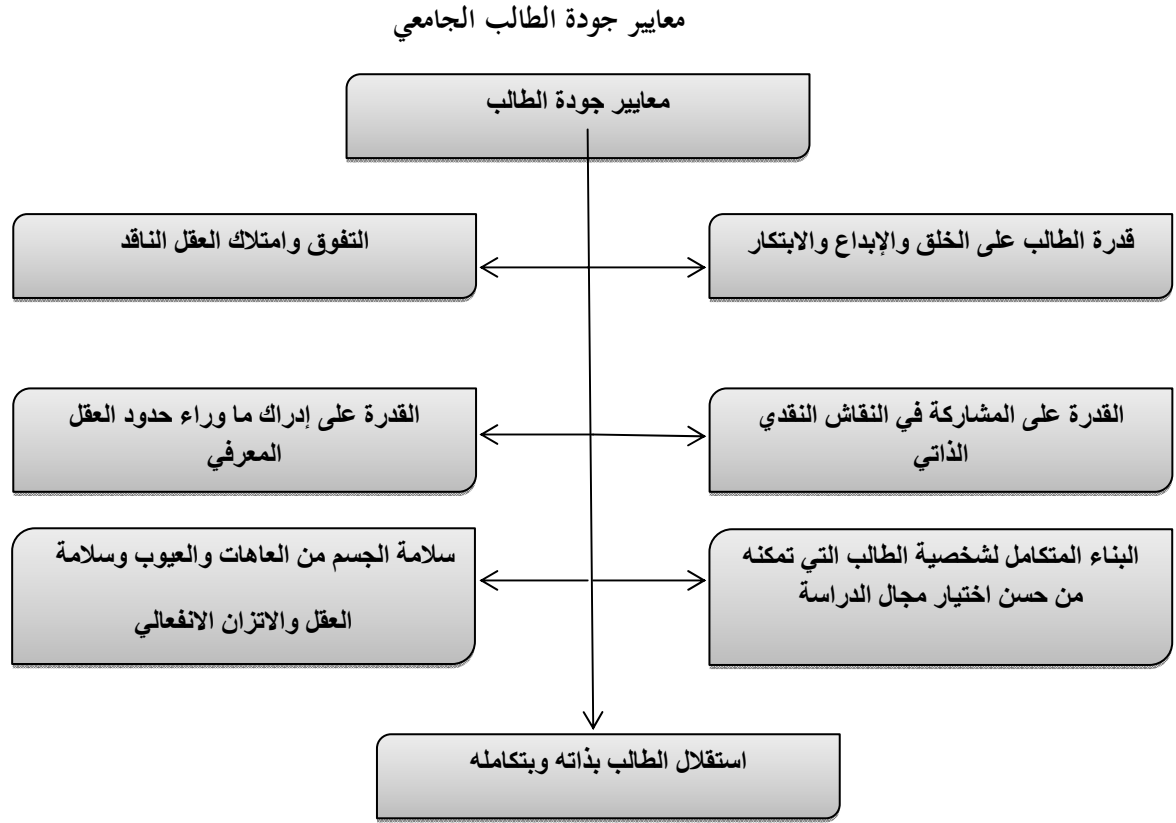
إضافة إلى وجود العديد من المعايير الأخرى التي تركز عادة على النقاط التالية¹:

- 1- عدد الأساتذة في الجامعة والذي يسمح بتغطية جميع الجوانب المنهجية من المواد الدراسية.
 - 2- الكفاءة التدريسية أي المهارات والمعارف التي يمتلكها الأستاذ الجامعي.
 - 3- إضافة إلى مستوى التدريب و التأهيل العلمي الذي يتحصل عليه الأستاذ الجامعي.
 - 4- الإنتاج المعرفي من منشورات والمشاركة في المنتديات والمؤتمرات، عضوية اللجان و الجمعيات، وعدد الجوائز المتحصل عليها كجائزة نوبل والتي تعتمد في التصنيف العالمي للجامعات أيضا.
- ب- جودة الطلبة الجامعيين:**

يعتبر الطالب المكون المحوري في الجامعة، بل إن هدف الجامعة هو تكوين الطلبة والارتقاء بالمستوى العلمي لهم لخدمة المجتمع، فتخرج طلبة أكفاء يتمتعون بمهارات و قدرات ابتكارية وإبداعية عالية يعتمد على مستوى الطالب

¹ نوال نور، كفاءة أعضاء هيئة التدريس وأثرها على جودة التعليم العالي، مذكرة ماجستير، قسم علوم التسيير، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2011-2012، ص. 105.

في حد ذاته وشغفه للتحصيل العلمي في المرحلة الجامعية إلى جانب مدى اهتمامه بهذه الفترة واستغلالها للرفع من مستواه العلمي والتكويني، وبالتالي تحسين مخرجات الجامعة. ويمكن تلخيص معايير جودة الطلبة في المخطط التالي:



المصدر: رافدة عمر الحريري، مرجع سابق، ص 236 .

وهناك معايير أخرى لتقييم جودة الطلبة في الجامعات المختلفة والتي يمكن إيرادها في النقاط التالية¹:

- 1- سياسة قبول الطلبة للالتحاق بالكليات المختلفة والتي تعتبر الخطوة الأولى في جودة التعليم العالي.
- 2- نسبة عدد الطلبة في القاعات الدراسية خاصة في الميادين العلمية التي لا تحمل أعداد كبيرة من الطلبة.
- 3- الخدمات المقدمة للطلّاب على مستوى المؤسسة كالخدمات الصحية والسكن والمواصلات والنوادي وغيرها.
- 4- متابعة الطلبة بعد تخرجهم ونسبة التوظيف في صفوفهم.
- 5- معدل الإنفاق على الطلبة والذي يرتبط بنوعية الإدارة والتحفيز والكفاءة المجتمعية والمؤسسية وغيرها.

ج- جودة المناهج التعليمية في الجامعة:

تعتبر المناهج التعليمية وبرامجها المختلفة نظاماً إنتاجياً يعتمد على مجموعة من متطلبات، أولها المنهج الجامعي الذي يعتبر خطة ضرورية تعتمد عليها الجامعة للحصول على الخريجين المؤهلين بالصفات الخاصة. إن جودة المنهج وما

¹ المرجع نفسه، ص. 103، 104.

يشتمل عليه من موضوعات ومفردات وفصول تعبر عن المعارف والمهارات التي يمتلكها الخريج في مجالات التخصصات المعرفية والمهنية¹.

ويمكن تلخيص معايير المناهج التعليمية في المخطط التالي:



المصدر: رافدة عمر الحريري، مرجع سابق، ص 237.

¹ رافدة عمر الحريري، مرجع سابق، ص. 233.

عند الحديث عن الجامعة الجزائرية ومقارنتها بمعايير الجودة المطروحة نلاحظ فرقا واختلافا صارخا بينهما، فعلى مستوى الأساتذة الجامعيين، يمكن القول أن الجامعة الجزائرية لديها العديد من الأساتذة الذين يفتقرون إلى الخبرة والمستوى العلمي المطلوب الذي يؤهلهم للعملية التعليمية، إلى جانب غياب الطابع العلمي والاهتمام الجدي لديهم بالطلبة وبمستويات البحث العلمي، حتى أن الإنتاج العلمي الأكاديمي كالكتب وترجمة الأعمال الأجنبية ودراساتها وتحليلها، وممارسة النقد البناء يكاد يغيب نهائيا على الجامعة الجزائرية، والإشارة أيضا إلى قلة المخابر الحقيقية التي تعالج مشاكل المجتمع وقضاياهم وتطرح البدائل وتساهم في توعية المجتمع، بل إن الأستاذ يجعل نفسه حبيس أسوار الجامعة وكلياتها فينحصر بذلك دوره في هذا المحيط وهو ما يزيد من عزلة الجامعة عن محيطها الخارجي.

دور الأستاذ الجامعي الجزائري لا يتوافق ومعايير الجودة المطروحة، فإعداد الطالب المبدع يتطلب مستوى عالي في القدرات العلمية والمنهجية للأستاذ إلى جانب الأداء الأكاديمي ومستوى التدريب، إلى جانب أن المعرفة بتقنيات التدريس الحديثة تغيب أو تضعف في الجامعة الجزائرية، وفي هذا المقام تجدر الإشارة إلى مرحلة اعتماد نظام (ل م د) في الجزائر وكيف أن الأستاذ وجد نفسه أمام نظام لا يتقنه ولا يعرف عنه إلا ما هو بديهي وهذا ما أدى إلى اختلاط المناهج على الأساتذة الجامعيين وعدم قدرتهم لمواكبة التطورات الحاصلة والسبب في ذلك راجع إلى قلة إطلاع الأستاذ من جهة وعدم وجود برنامج تكويني

بالإضافة إلى المعايير السابقة هناك معايير أخرى وعديدة يمكن من خلالها قياس جودة المناهج التعليمية في مؤسسات التعليم العالي ويمكن إيراد أهمها¹:

- 1- الإستراتيجية المتبعة ومدى ملائمتها للأهداف المرجوة.
 - 2- الوسائل التعليمية و قدرات الأساتذة و الطلبة على استخدامها.
 - 3- دور الطالب ومشاركته في العملية التعليمية وقدره الأستاذ الجامعي على التعامل معه نفسيا وأخلاقيا ومعرفيا.
 - 4- المصادر المعرفية المتوفرة من كتب ومجلات وغيرها.
 - 5- جودة المادة التعليمية وقدرات الطلبة على الاستيعاب والفهم لها.
- تعتبر العناصر الثلاث التي تم التطرق إليها أهم مكونات المؤسسة التعليمية الجامعية على غرار جودة عملية التعليم والتعلم وجودة الإدارة ومصادر التعلم والبنية التحتية وجودة تقويم أعمال الطلبة، كلها تعتبر محرك الجامعة وجودتها العالية تؤدي إلى إخراج الجامعة من عزلتها وإدماجها بالمحيط الاجتماعي والاقتصادي.

ثانيا: مكونات الجامعة الجزائرية وفقا لمعايير الجودة:

بعد التعرف على المعايير التي يمكن على أساسها معرفة جودة مكونات الجامعة الجزائرية سنحاول على مستوى هذا العنصر إجراء نظرة تحليلية على أهم ثلاث مكونات للجامعة وهي كالتالي:

أ- الأستاذ الجامعي الجزائري:

¹ نوال غور، مرجع سابق، ص. 106.

له من جهة ثانية، والتضييق على الأستاذ الجامعي من جهة ثالثة.

والى جانب البعد العلمي، فإن الحديث عن المستوى الأخلاقي لا يقل أهمية فهو يلزم كل المستويات الأخرى حتى أن جمال العلم بجمال الأخلاق، وهو ما يغيب عند العديد من الأساتذة خاصة في تعاملهم مع الطلبة الأمر الذي يؤدي إلى إضافة العوائق بين الطالب والأستاذ من جهة، وإضعاف قدرات الطالب من خلال نفوره من الحصص التعليمية أو بالأحرى من الأساتذة من جهة أخرى.

يؤثر هذا الضعف الذي يكتنف العديد من الأساتذة الجامعيين على مخرجات الجامعة الجزائرية ويجعلها في عزلة مستمرة خاصة من حيث الضعف في تكوين الطلبة، إلى قلة البحوث والدراسات وأيضاً عدم فاعلية الاتفاقيات بين الجامعة والمؤسسات الاقتصادية خاصة من حيث الاستشارات وتقلص الخبرات وغيرها، والتطرق لهذا المنحى الذي تعاني منه الجزائر لا يلغي وجود أساتذة يتمتعون بمهارات عالية وقدرات كبيرة تمنح الجامعة الجزائرية الاستمرارية والتقدم في المجال التعليمي والأكاديمي، وهذا ما يبقى دائماً غير كاف.

ب- الطالب الجامعي الجزائري

وإذا انتقلنا إلى أهم عناصر الجامعة وهو الطالب فحالته ليس بأفضل من الأستاذ بل إن مستواه العلمي متدني بشكل كبير خاصة في الآونة الأخيرة التي أصبح الطالب يرى في الجامعة مرحلة أو خطوة نحو عالم الشغل واعتبارها محطة انتقال تساعد فقط على تأمين حياته العملية (أي الحصول على الشهادة)، وهذا ما يجعله خامدا قليل النشاط لا يفكر ولا يمارس العملية النقدية البناءة ولا يساهم في التطوير العلمي، بل يجعل

نفسه حبيس الامتحانات فالدراسة والتعليم مرتبط فقط بفترة الامتحانات لضمان النجاح وانقضاء هذه الفترة يعني ذبول المعلومات وفقدانها، وأما ما يخص البحث والابتكار والإبداع فلا دور للطلاب في هذا المجال إلا القلة القليلة، وهذا دائماً يعود إلى العقل الطلابي الجامعي الذي أخذ صورة لا تعكس الواقع الجامعي وجعلها هي الواقع و تكيف معها. إن العقل الطلابي يمر بأزمة حادة سواء كان ذلك على المستوى الفكري أو المستوى الممارساتي والعلاقة بينهما، فعلى المستوى الفكري نلاحظ تدهوراً كبيراً للطلاب الجزائري نتيجة قلة اطلاعه و غياب مطالعته للكتاب، وعلى الجانب الممارساتي فالطلاب الجزائري لا يولي أهمية للترقيات ولإجراء البحوث الميدانية بل يعتبرها مضيقاً للوقت والجهد، فعقلية التسرع التي يتميز بها تعمل على إعاقته وغلق المجال أمامه.

وهذا الطرح يقودنا إلى النظر في مخرجات الجامعة الجزائرية من طلبة ذوي مهارات وقدرات متدنية لا ترتقي إلى المستوى المطلوب ما يزيد من غزلة الجامعة، ويزيد من بطالة الطلبة، فلا يمكن للمؤسسات الاقتصادية توظيف مثل هذه القدرات البشرية، وهو ما يجعل معظم الاتفاقيات بين المؤسسات الاقتصادية والجامعة حبيسة الأوراق دون وجود تطبيق فعلي لها، وهو أيضاً ما يزيد من عزلة الجامعة الجزائرية.

ج- المناهج التعليمية في الجامعة الجزائرية

أما بالنسبة للمناهج التعليمية في الجامعة الجزائرية، نلاحظ غياب برنامج تكويني للأساتذة الجامعيين، خاصة المستجدين بالجامعة، فهذا البرنامج مهم جداً بحيث يسمح للأستاذ بأخذ نظرة حول طبيعة عمله ومنهجية التدريس وأساليبه والأهداف التي يجب

ثانوية ، إنما التركيز كان على أسلوب التعليم وطرق التوجيه أما كيفية إجراء البحوث واستغلالها، وكيفية إقامة مراكز للابتكار ودمج الطلبة وقوانين الحفاظ على براءة الاختراع فهي تبقى عملية غير جدية ولا ترقى إلى المستوى المطلوب¹.

لقد أصبحت المناهج التعليمية الجامعية مجرد مناهج نظرية تنتهي بانتهاء الحصص المخصصة، دون وجود جانب تطبيق لما يتعلمه الطالب خاصة فيما يتعلق بالتخصصات الأدبية و الإنسانية فمثلا عند الحديث عن تخصص العلوم السياسية في الجامعة الجزائرية، فإن الوضع القائم في هذا التخصص يرتبط بالجانب المفاهيمي والنظري فقط فلا وجود لخرجات علمية وزيارات لمختلف مراكز صناعة القرار كالبرلمان والمجالس الولائية والبلدية بمختلف أنواعها وأشكالها، أيضا عدم وجود علاقة بين الجامعة ومراكز الأحزاب السياسية في الدولة ومختلف الجمعيات ومنظمات المجتمع المدني، فالطالب في عزلة تامة عن هذه المؤسسات الأساسية في الدولة وهذا راجع إلى المناهج التعليمية وعدم اهتمامها بهذا الجانب.

وعلى العموم يمكن القول أن الجزائر وحتى اليوم ما تزال تعاني من عدة مشاكل رافقتها من بداية تأسيسها وهذا رغم التعديلات والجهود للتحسين، إلا أن

تحقيقها، كل هذه العناصر تسمح للأستاذ بالاندماج مع المحيط وكسب الثقة بشكل أكبر وهو ما يغيب عن الجامعة الجزائرية، إذ لا تولي أهمية لتكوين الأستاذ في مرحلة ما بعد التوظيف. أما النقطة الأخرى في المنهاج التعليمي فهي كلاسيكية المادة العلمية بمعنى عدم وجود المرونة اللازمة التي تسمح بتطور المادة العلمية لمزامنة مختلف التطورات العالمية، فالعالم يشهد إصدار آلاف الكتب يوميا، إلى جانب التطورات المختلفة التي تمس معظم الأفكار والنظريات والمتابعة لها من طرف الجامعة وتكييفها مع المناهج الداخلية يتميز بأهمية بالغة وهو ما يغيب في الجامعة الجزائرية، حيث لا نلاحظ مثلا مراكز للترجمة واستيراد الكتب العلمية الخارجية التي تخدم الطالب في إجراءاته للبحوث من جهة وتوسيع آفاق التقدم العلمي والمنهجي من جهة أخرى، إلى جانب ذلك ضعف الرابطة بين الطالب والواقع الجزائري وقضاياه المختلفة، فالطالب عند تخرجه يكون جاهلا بالعديد من القضايا الداخلية سواء محلية أو وطنية وهو ما يقلل من جودة مخرجات الجامعة.

أيضا فإن المناهج التعليمية لا تستجيب لمتطلبات السوق والمحيط الخارجي للجامعة بشكل عام، فالتحديثات التي يشهدها المجتمع والتطورات في مختلف الأنساق الداخلية للمجتمع سريعة ومختلفة من نسق لآخر، ومثال ذلك التطور الكبير في المجال الإلكتروني ووسائل الاتصال حيث أصبح التعليم عن بعد من أهم وسائل التعليم في العالم ومواكبة هذه التقنية من طرف الجامعة تعتبر ضرورة ملحة لدعم الطالب وزيادة استيعابه سواء عن طريق المعلومات المكتوبة أو المسموعة أو المحاضرات المرئية، إلى جانب أن معظم التعديلات التي مست منظومة التعليم العالي لم تعالج وظيفة البحث العلمي كما يجب بحيث مازالت وظيفة

¹ علي عبد الله + لخضر مداح، التعليم العالي في الجزائر وإدارة الجودة الشاملة كمدخل لجودة مخرجاته، الملتقى الوطني الأول حول تقويم دور الجامعة الجزائرية في الاستجابة لمتطلبات سوق الشغل ومواكبة تطلعات التنمية المحلية، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة زيان عاشور، الجلفة، 2010/05/20، ص. 97-99.

ووسائل التدريس، كلها تعتمد بدرجة أو بأخرى على التمويل³.

كل هذه الأسباب والمؤشرات المطروحة تؤدي إلى التأكد من نقطة واحدة، وهي وضع الجامعة في عزلة مستمرة، بحيث لا يمكننا أن نضع اللوم أو نتهم أحد الفواعل أو ننتقد أحد المكونات بالتقصير وعدم الفاعلية، فالجامعة عبارة عن منظومة متكاملة تتفاعل في إطارها عدة عناصر ومكونات تتبادل التأثير فيما بينها، وإصلاح هذه المنظومة يكون عن طريق إصلاح تلك الأجزاء واحدة بواحدة.

خاتمة

الجامعة منظومة تعليمية متكاملة مكونة من مجموعة من الفواعل و العناصر المختلفة التي تؤثر بعضها ببعض، تتميز بدورها الفعال في المجتمع، والجامعة الجزائرية لا بد وأن تواكب هذا المفهوم بالتركيز على الكيف والنوع لا على الكم والشكل، ومعالجة الجوهر و تطوير المهارات لا التركيز فقط على المعلومات، فالتعليم العالي في الجزائر أصبح ذو طابع سطحي لا يعمل على تفعيل وظائف الجامعة وعلاقتها مع محيطها بل يزيد من عزلتها خاصة مع قلة الأساتذة الأكفاء أو عدم عطائهم بالقدر الكافي أو عدم السماح لهم بالنشاط الفعال لتحسين مستوى مخرجات الجامعة، هذا إلى جانب ضعف المستوى الطلابي وتدني المناهج التعليمية وارتباطها بالطرق والوسائل و المادة العلمية الكلاسيكية.

الفاعلية مازالت تصطدم بواقع تلك المشاكل ونذكر أهمها في النقاط التالية¹:

- الاكتظاظ الكبير للطلبة في مختلف الجامعات.
 - عدم وجود استقلالية للجامعة تمكنها من أداء مهامها، على الرغم من أن المشرع الجزائري يعطي شخصية معنوية مستقلة للجامعة الجزائرية.
 - التغير في دوافع الطلبة نحو التعليم العالي من اكتساب الخبرة و الكفاءة إلى الحصول على المؤهل المساعد في التوظيف ، وهذا نتيجة السياسات المختلفة للدولة الجزائرية .
 - قلة الخبرة و الكفاءة لدى خريجي الجامعة الجزائرية رغم سياسة الإنفاق و التطور في الميزانية
 - بطالة خريجي الجامعة، خاصة في الآونة الأخيرة.
- يمثل كل ما تم طرحه نسبة قليلة من المشاكل التي تعاني منها الجامعة الجزائرية والتي تجعلها في عزلة مستمرة، فالإدارة التي تعتبر حلقة وصل بين مكونات الجامعة تغيب فيها أبسط الأساليب و المهام المنوطة بالمراقبة والمساءلة والعناية بالبنى التحتية الجامعية والتفاعل مع المجتمع المحلي و الاستفادة من إمكانياته²، والتمويل الجيد والإنفاق على منظومة التعليم العالي مازال يعاني ولا يرتقي إلى المستوى المطلوب وضعف التمويل يعني ضعف تنفيذ البرامج وتراجع الخدمات ومراكز البحوث و التأليف والترجمة والتدريب، بالإضافة إلى تحسين كفاءة عناصر ومكونات الجامعة عبر التدريب ، والارتقاء بمستوى البرامج والأنشطة التعليمية وطرق

¹ محمد سبخاوي وآخرون، دور الجامعة الجزائرية في عملية التنمية في ظل تحديات الألفية الثالثة-المشاكل ومقترحات التطوير، الملتقى الوطني الأول حول تقويم دور الجامعة الجزائرية في الاستجابة لمتطلبات سوق الشغل ومواكبة تطلعات التنمية المحلية، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة زيان عاشور، الجلفة، 2010/05/20، ص. 197، 198.

² المرجع نفسه، ص. 238.

³ يوسف حجيم الطائي وآخرون، "إدارة الجودة الشاملة في التعليم الجامعي"، الطبعة الأولى، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، 2008، ص. 282.

والحصانة الكافية من أجل المساهمة في الارتقاء بالمستوى الجامعي و تخريج طلبة أكفاء قادرين على خلق تلك الرابطة المفقودة بين الجامعة ومحيطها.

- أما فيما يخص الطالب فلا بد من تهيئته في الأطوار التعليمية الأولى ومنحه مجالا أكبر للاختيار، إلى جانب التركيز على البعد التكويني له في الجامعة ودججه مع مختلف المؤسسات الرسمية في المجتمع لدراسة حركتها وسيورتها ومنهجها في التعامل مع مختلف القضايا، ثم فتح المجال أمامه ليمارس النقد البناء على أساس دراسته وتحليله، والنقطة الأخرى التي يمكن اعتمادها لتأهيل الطالب الجامعي هي أسلوب المحاكاة ولتوضيح الصورة أكثر يمكننا إعطاء مثالا توضيحي؛ محاكاة مجلس الأمن بإقامة حلقة دائرية ووضع طالب العلوم السياسية في مجال تصوري للنقاشات الدائرة في مجلس الأمن مع تحديد الأهداف والوسائل والطموحات التي يجب أن يدافع عنها كل طالب وكأنه يمثل سياسة دولة معينة، هذه التقنية تعمل على تكوين الطالب وتخريج قادة وسياسيين فاعلين في الدولة.

وبعبارة بسيط، الجامعة الجزائرية تفصلها عن مرحلة اندماجها مع المجتمع عوائق كثيرة ولكنها تشارك معا - العوائق - في نقطة أساسية واحدة وهي ما يسمى "بأزمة العقل العربي" فالعقل الجزائري ما يزال يعاني من هذه الأزمة والتي يقوم أساسها على الخلل بين الفكر و الممارسة، فالأفكار موجودة ولكنها تبقى دائما في المجال الفكري ولا تمر إلى المستوى التالي وهو المستوى الممارساتي.

ويمكن لهذه الدراسة تقديم بعض التوصيات من أجل تجاوز العوائق التي تعاني منها الجامعة الجزائرية وهي كالتالي:

- إعطاء الأولوية القصوى للبرامج التعليمية وتكييفها و التغييرات العالمية، وذلك من خلال ربطها بالمجتمع اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا بحيث تكون مرنة وقابلة للتحديث على كل المستويات.
- في التجربة اليابانية تم سؤال أحدهم لماذا هذا التطور؟ فكانت الإجابة بأنهم أعطوا المعلم راتب وزير وحصانة دبلوماسي و إجلال الإمبراطور، لذلك لا بد من إعطاء الأستاذ الجامعي قيمة أكبر ومنحه الحرية اللازمة